الباب التاسع

ذكر العلماء والصالحين بتنبكت

ذِكْر بعض العلماء والصالحين ، الذين سكنوا تنبكت سلفاً وخلفاً ، رحمهم الله تعالى ورضى عنهم ، ونفعنا ببركاتهم فى الدارين . وذكْر بعض فضائلهم ومآثرهم . وكفى فى ذلك ما رواه الشيوخ الثقات عن الشيخ العالم ، الفاضل ، الصالح ذى الكرامات ، والعجائب ، الفقيه القاضى محمد الكابرى رحمه الله تعالى . أنه قال : أدركتُ من صالحى سنكرى ، مَنْ لا يُقدَّم عليهم فى الصلاح أحد إلا أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم أجمعين .

منهم الفقيه الحاج جد القاضى عبد الرحمان بن أبى بكر بن الحاج ، تولى القضاء بتنبكت ، فى أواخر دولة أهل ملى ، وهو أول منْ أمر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن للتعاليم فى جامع سنكرى ، بعد صلاة العصر ، وبعد صلاة العشاء . جاء هو وأخوه السيد ، الفقيه إبراهيم من بير ، فسكن فى بنك . وقبره معروف هنالك يُزار . قيل : إنه من الأبدال .

وروى عن شيخنا الفاضل ، الزاهد ، الفقيه الأمين بن أحمد أنه قال : جاءت غزوة سلطان موش [1] فى زمانه إلى بنك ، فخرج الناس إلى قتاله ووجد الحال أن الجماعة قعود عنده ساعتئذ ، فتكلم بما تكلم على شيء من الدخن [2] ، وأمرهم بأكله فأكلوه إلا واحداً منهم وهو صهره فاستحى لأجل المصاهرة . وقال لهم : اذهبوا إلى القتال ولا يضركم من سهامهم . فسلَّموا جميعاً إلا الرجل الذى لم يأكله ، فمات من ذلك القتال فانهزم سلطانُ موش ، وطردوه مع جيشه ، وما نالوا من أهل بنك ، ببركة هذا السيد المبارك .

ومنه تنسَّل ولى الله تعالى الفقيه إبراهيم بن ولى الله تعالى القاضى عمر الساكن يندبغ ، وهما من عباد الله الصالحين . إسكيا الحاج محمد هو الذى ولاه قضاء تلك الناحية ، وله ابن أخت كان يزور تنبكت بعض الأحيان . فاشتكى به القاضى الفقيه محمود عند

---

(١) موش : قبائل وثنية .

(٢) الدخن : نوع من النباتات أشبه بالذرة .

الأمير ، اسكيا الحاج محمد . أنه ينقل كلامهم إلى أهل يندیغ على وجه النميمة . فلما نزل تل جاءه الفقيه القاضى عمر فى جماعته مع أهل يندیغ للسلام عليه ، فسأل عن ابن أخته .

قالوا له : ها هو ذا ، قال له : أنت الذى تنقل الكلام بين الفقيه محمود وبين خالك بالنميمة ، فغضب القاضى عمر ، وقال له : أنت النمام الذى جعلتَ القاضى فى تنبكت ، وجعلتَ القاضى فى يندیغ . فقام مُغضباً ، فسار نحو المَرْسَى ، قال لأصحابه : نسير ونقطع البحر ، ونمشى فى حالنا .

فلما وصل البحر أراد أنْ يدخل فيه ، قالوا له القارب ما كانت الساعة ، اصبر حتى يجى . قال : ولو لم يكن ، ففهموا منه أنه يقطع البحر بلا قارب . فأمسكوه وأجلسوه ، حتى جاء القارب وقطعوا معه ، رحمهم الله ونفعنا بهم آمين .

ومنهم الفقيه أبو عبد الله اند غمحمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح . معدن العلم ، والفضل ، والصلاح . ومنه تنسَّل كثيرٌ من شيوخ العلم والصلاح منهم من جهة الآباء ، ومنهم من جهة الأمهات ، ومنهم من جهتهما معاً . فهو عالم جليل قاضى المسلمين .

قال العلامة الفقيه ، أحمد بابا رحمه الله : هو أول منْ خدم العلم من أجداده فيما أعلم ، وهو جد جدِّى لأمه أبو أم جدى . تولى القضاء بتنبكت فى أواسط القرن التاسع . قلت : وذلك فى دولة التوارق . ثم عمر والد جدى . فكان فقيهاً عالماً صالحاً ، قرأ على الفقيه الصالح ، القاضى مودب محمد الكابرى . انتهى كلام الفقيه أحمد بابا مختصراً .

ومنهم ولده الفقيه ، المختار ، النَّحْوى ، العالم بكل فَنٍّ من فنون العلم . عاصر هو وأبوه مع الفقيه ، العالم ، القطب ولىّ الله تعالى سيدى يحي التادلسى ، رحمهم الله تعالى ورضى عنهم . تُوفِّى رحمه الله تعالى فى أواخر العام الثانى والعشرين بعد تسعمائة .

ومنهم أيضاً الفقيه عبد الرحمان ، عالم التهذيب للبرادعى ، التقى ، الحليم ولم يترك عقباً إلا ابنة واحدة .

ومنهم حفيده أبو العباس أحمد برى بن أحمد بن اندغمحمد ، العالم التقى

المُقلِّل من الدنيا المتواضع لله تعالى ، أخذ عنه العلم جماعةٌ كثيرةٌ من شيوخ العلم ، من المتأخرين ، من أهل سنكرى رحمه الله تعالى .

ومنهم حفيده أبو عبد الله اند غمحمد . بن الفقيه المختار النَّحْوى بن اند غمحمد . أما مسجد سنكرى . سلم فيها شيخ الإسلام أبو العباس البركات ، الفقيه القاضى محمود عند كِبَر سنِّه ، فولاه إياها . وهو عالم تقى ، وَرِع ، متواضع ، واثق بالله . شهير فى علم العربية . مادح لرسول الله ﷺ . مسرد لكتاب الشفاء للقاضى عياض . بعد موت أبيه فى مسجد سنكرى إلى أنْ مات رحمه الله تعالى .

ومنهم الفقيه ، المختار بن محمد بن الفقيه المختار النحوى بن اند غمحمد ، المادح لرسول الله ﷺ ، المتفق عن المداحين فى ميلاد النبى ﷺ . ويطرب لذلك غاية الطرب ، ويبذل جهده فيه إلى أنْ مات رحمه الله تعالى .

ومنهم ابنه الفقيه محمد سن ، ابن الفقيه المختار شيخ المداحين . فقام به أحسن قيام وبالسكينة والوقار على الدوام والاستمرار . إلى أنْ تُوفى رحمه الله تعالى . كان خيِّراً ، فاضلاً ، تقياً ، زاهداً ، ورعاً ذا مروءة ، ووفاء بالعهد ، لازمه من حين الطفولة إلى الكبَر . وهو ذرية الفقيه اند غمحمد الكبير من جهة الأب والأم ، وأمه بنت الفقيه اند غمحمد .

وكذلك الفقيه القاضى محمد قرينك . وأخوه الفقيه القاضى أحمد . أمهما بنت الفقيه الإمام اند غمحمد وأبوهما الفقيه اند غمحمد ، ابن أحمد اند محمد بن أحمد بن برى بن أحمد بن الفقيه اند غمحمد الكبير .

ولهذا المقام المبارك ، خمس بنات مباركات ، كُلهن ولدْنَ رجالاً مُباركين هاتان المذكورتان ، والثالثة أم شيخ الشيوخ ، إمام مسجد سنكرى . الفقيه محمد بن محمد كرى . والرابعة حامل كتاب الله تعالى محمد بن يمذغرين . والخامسة أم أحمد ماتن بن تل أخ تكرى ، ومنهم أبو العباس الفقيه أحمد بن اند غمحمد بن محمود بن اند غمحمد الكبير ، الزكى ، الفَطِن ، العالم بفنون العلم ، من الفقه ، والنحو ، والأشعار ، وغير ذلك رحمه الله تعالى .

ومنهم أبو محمد عبد الله بن الفقيه برى بن أحمد بن الفقيه أبى العباس أحمد

ابن غمحمد ، وهو من ذريته من جهة الأب والأم ، لأن أمه أخت الفقيه أبي العباس أحمد بن غمحمد ، كان مفتياً فى زمنه لُغوياً متواضعاً . شُهر فى زمانه بعلم القرآن والتوثيق رحمه الله تعالى . ومنهم أسباطه الثلاثة شيوخ الإسلام ، الأيمة الأعلام : الفقيه عبد الله ، والفقيه الحاج محمد ، والفقيه محمود ، أبناء الفقيه عمر بن محمد اقيت.

قال فيهم العارف بالله تعالى ، القطب سيدى محمد البكرى ، أحمد ولى محمود ولى عبد الله ولى . لولا أنه فى قرية بقى فى تازخت حتى تُوفِّى فيه . ووصَّى ألاَّ يُغسِّله أحد إلا تلميذه إبراهيم حبيب بن محمد بابا . فأتى ووجد سراجاً مُوقداً عنده . فقال لأهل بيته : أين سبحة الشيخ . فأتى به ، فأمر بإطفاء السراج ، فوضع السبحة فى مكان ، فسطع منها نور أضاء البيت حتى فرغ من الغُسْل .

وأما الحاج أحمد فهو من عباد الله الصالحين ، والعلماء العاملين ، وأما محمود فهو صاحب كرامات وبركات كثيرات . وكم نُودى فى مواطن الغيبة لتفريج الشدائد والمُلِمَّات فحضر وأنفذ ، وبعدما دفن أخوه الأكبر الحاج أحمد رحمه الله تعالى ونفعنا به، ورجع لداره صار حزيناً جداً ، بحيث يُعزيه الناس ولا يفطن لهم . فلما جاز بدار عثمان طالب تنفس الصَّعداء . وقال : الآن افترق أخى أحمد مع الملائكة وعلم الناس أنه يشاهدهم ، ولذلك تحزن .

وهذا نوع عظيم من الكرامات والمُكاشفات ، وروى عن الفقيه المصلى . وهو من أكبر شهود مجلسه واسمه الفقيه اند غمحمد بن ملوك بن أحمد بن الحاج الدليمى من أهل الزاوية فى المغرب ، وهو سَمى جد الفقيه محمود من أمه .

ولُقبَ بالمصلى لكثرة صلاته فى المسجد . أنه قال : عزمتُ على خطبة ابنه منه ، فكتبت البراءة منى ، فعزمت متى خرج جميع جلسائه ، وبقيت أنا وهو أعطيتها إياه ، فلما تخاليتُ معه بدأنى بالكلام .

وقال : الطيور التى يتحد جنسها ، هى التى تجمع فى الطيران ، فعلمتُ حينئذ أنه كُوشف على ما عزمتُ عليه فتركتُها . وتُوفى المصلى رحمه الله سنة خمس وتسعين وتسعمائة ، بعد ما أخذ العلامة الفقيه القاضى أبو حفص عمر سنتين فى القضاء .

ومنهم أبو حفص عمر ابن الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن اقيت النَّحْوى

المادح لرسول الله ﷺ صباحاً ومساء ، المسرد لكتاب الشفا فى كل يوم رمضان ، فى مسجد سنكرى الواصل لرحمه ، المتعاهد لأقاربه ، يتفقدهم فى صحتهم ، ويعُودُهم فى مرضهم ، المنشر وجهه للخاصة والعامة ، المتوفى شهيداً فى مدينة مراكش رحمه الله تعالى ، ورضى عنه ، وبرَّد ضريحه وأسكنه أعلى الفراديس فسيحه .

ومنهم أخوه أبو بكر المعروف بابكر بير بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد اقيت ، العالم ، الزاهد ، المُتصدِّق ، المنفق على الأيتام والتلاميذ ، المتغرِّب فى أيام دولته مع جميع عياله وأولاده إلى مجاورة رسول الله ﷺ ، حُباً لله ولرسوله ﷺ ، وسكن المدينة المُشرَّفة إلى أنْ مات مع كافة عياله ، فى جوار المصطفى ﷺ .

وقد عزم على ترحيلهم حين حج فى المرة الأولى ، حتى برز بجميع العيال وانفصل بهم عن البلد ، فانتزعهم منه القاضى العدل العاقب ، وعلم أنه لا يرجع إليهم ، ولا يحب مفارقته إلى المرة الثانية بعد وفاة العاقب ، رحل بهم جميعاً ، وجاور فى المدينة المشرّفة إلى أن ماتوا كلهم .

ومن كراماته أن أخاه ، العلامة ، الفقيه أحمد بن الحاج أحمد طلب من أبى البركات ولى الله تعالى القطب سيدى محمد البكرى رحمهم الله تعالى ، ورضى عنهم أنْ يُريه ولياً من أولياء الله الذى يتوسل به إليه سبحانه ، فأنعم له إلى ليلة واحدة بعد ما صلى العشاء الآخرة فى جامع الأزهر .

أراد أنْ يخرج وهو مُمسكٌ بيد الفقيه أحمد ، فوضع يده ذلك على رأس رجل جالس فيه فى الظلام . فقال : ها هو مطلوبك ، فجلس بين يديه وسلَّم عليه ، فإذا هو أخو ابكر بير فتحدَّث معه قليلاً ، ثم خرج ووجد ذلك السيد واقفاً فى باب الجامع . فقال : هذا الذى أريتنى . فقال : ها هنا يصلى العشاء الآخرة كل ليلة .

ومنهم أخوه العلامة ، المُحدِّث ، الفقيه أحمد بن الحاج أحمد عمر بن اقيت . العالم الجليل ، الفصيح الذى كمل الله سبحانه له أنواع الجمال كلها خلقاً ولوناً ، وصوتاً وخطاً وفصاحة ، البارع فى علوم الأدب والفقه والحديث ، المادح لرسول الله ﷺ .

المسرد للصحيحين [1] فى مسجد سنكرى المُحبَّب إلى جميع الخلق ، العزيز عندهم.

وكفى فى عزِّه وشرفه ما خاطبه به الولى الصالح أبو عبد الله محمد البكرى فى قصيدته المرسلة إليه حين غاب عنه ، وذلك قوله ﷺ ونفعنا به :

أحبَّتَنَا وَالله إنِّى عَلَى عَهْدى ... وَحُبِّى لَكُمْ حُبِّى وَوُدِّى لَكُمْ وُدِّى

وَلَمْ أنْسَ التَّدانِى وَطيبَهَا ... وَأوقَاتَنَا مَا بَيْنَ عَوَر إلى جدِّى

وَإنِّى عَلَى ذِكْرى لَكُمْ وَتَوجُّهِى ... إلَى الله فيمَا تَرْتَجُونَ مِنَ الرِّفْدى

وَأسألُه فِى كُلِّ وَقْتٍ مكرم ... بتَحقِيقِ مَا تبغُونَ منْ وَاسِعِ المَدَى

لَعمْرو دين ثُمَّ أولادكم وَمَا ... تَرُومُونَ منْ فضْلٍ يَفِيضُ بلا حَدّى

ومنهم : أولاد شيخ الإسلام أبى البركات ولىّ الله تعالى الفقيه القاضى محمود بن عمر بن محمد اقيت : القاضى محمد ، والقاضى العاقب ، والقاضى عمر ، والفقيه عبد الله ، والولى الزاهد الفقيه عبد الرحمن .

قال بركة الإسلام الفقيه مسراند غمحمد ، والشيخ الفاضل مسر بير : ما فضلنا محمود بن عمر إلا بالأولاد الصالحين . انتهى .

أما القاضى محمد ، فكان عالماً جليلاً ، فهّاماً ، ذكياً . وليس له نظيرٌ فى عمره فى الفهم ، والدهاء ، والعقل وساعدته الدنيا . وما أصبح فى ليلة ولادته إلا وألف مثقال ذهباً بات فى ملكه من ضيافة الرجال الذين فرحوا بولادته ، لأنه أول مولود ذكر لأبى البركات ، الفقيه محمود .

وأما القاضى العاقب فكان عالماً ، جليلاً ، ثاقبَ الذهن ، قوىَّ القلب ، صلباً فى الحق ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، ذا فراسة إذا تكلم فى شىء ، لا يخطىء كلامه كأنه ينظر فى الغيب ، قد ملأ أرضه بالعدل ، بحيث لا يُعرف له نظيرٌ فى ذلك من جميع الآفاق .

وأما أبو حفص القاضى عمر ، فقد برع فى علم الحديث والسير والتواريخ وأيام الناس . وأما الفقه فقد بلغ فيه الغاية القصوى . حتى قال بعض مَنْ عاصره من

---

(١) الصحيحان : هما صحيح البخارى وصحيح مسلم . وهما من كتب الأحاديث الأربعة الصحيحة بجوار كتابَىْ (الموطأ) للإمام مالك ، و(المسند) للإمام أحمد بن حنبل .

الشيوخ : أنه لو كان موجوداً فى زمن ابن عبد السلام بتونس لاستحقَّ أن يكون مُفتياً فيها .

وأما عبد الله . فهو عالم فقيه ، مدرس مُتقلل من الدنيا ، مع ما بسط اللهُ تعالى له من الرزق ، حتى كاد أن لا يعرف نهايته .

وأما الشيخ الصالح ، الولى ، الناصح ، العارف بالله تعالى . ابنه الناسك العابد ، الزاهد ، الورع الواعظ ، أبو زيد عبد الرحمن ، كان فقيهاً عالماً ، مُعرضاً عن الدنيا بكليته بحيث لم يقبلها ، ولو فى لحظة واحدة ذا مكاشفات ، وأصحاب مدرسته يحكُون عنه فى ذلك حكايات كثيرات ، من ذلك : ما رُوىَ بالتواتر أن محلة الباشا جودر لما برزتْ من مراكش أشار فيها لأهل تنبكت يومئذ .

وهو يوم الأربعاء الثانى من محرم . فاتح عام التاسع والتسعين بعد تسعمائة ، فلما صلى بالناس الظهر وجلس فى مدرسته قال: بالله بالله بالله لتسمعنَّ فى هذا العام ما لم تسمعوا به قط ، ولترونَّ فيه ما لم تروا مثله قط . وفى جمادى الأولى منه ورد السودان، وفعلوا فيه ما فعلوا ، والعياذ بالله من مثلها ، هكذا يغفل منها كثيراً .

ومنهم الفقيه العالم الربانى ، الولى الصالح أبو العباس بن الفقيه محمد السيد سبط الفقيه محمود الشهير بالعلم فى زمنه . وحضر مجلسه جماعة كثيرة ، من شيوخ العلم للأخذ عنه . منهم : القاضى عمر بن الفقيه محمود . والفقيه محمد بغيغ الونكرى . وأخوه الفقيه أحمد بغيغ ، والفقيه محمود كعت [1] ، والفقيه محمد كب بن جابر كب وغيرهم . وشهدوا له بالعلم ، والسيادة ، والورع ، والصلاح ، رحمه الله تعالى وأبقى بركته علينا وعلى المسلمين .

ومنهم حفيده الفقيه العالم أبو بكر بن أحمد بير بن الفقيه محمود ، كان فاضلاً خيِّراً صالحاً ، نشأ به وشهد له بذلك أعمامه الصالحون ، واتفقوا على تقديمه للصلاة بالناس حين مرض الإمام القاضى العاقب رحمه الله تعالى .

ومنهم الفقيه ، العالم ، العلامة فريد دهره ، ووحيد عصره البارع فى كل فنٍّ

---

(١) محمود كعت : وُلدَ عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م . عمل بالقضاء والتأليف ، من أشهر مؤلفاته : الفتاش فى أخبار البلدان ، والجيوش ، وأكابر الناس ، وتحرير أنساب الأحرار من العبيد .

من فنون العلم . أبو العباس أحمد بابا بن الفقيه أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن اقيت ، فجدَّ واجتهد فى بداية أمره بخدمة العلم حتى برع جميع معاصريه وفاق عليهم جداً ، ولا يناظر فى العلم إلا أشياخه وشهدوا له بالعلم .

وفى الغرب اشتهر أمره وانتشر ذكره ، وسلَّم له علماء الأمصار فى الفتوى ، وكان وقافاً عند الحق ولو كان من أدنى الناس ولا يداهن فيه ولو للأمراء والسلاطين ، واسم محمد مكتوب فى عضده الأيمن فى الخلقة بخط أبيض .

وجميع منْ ذكرنا بعد ذلك ذكر الشيخ المبارك الفقيه اند غمحمد الكبير إلى هنا ، فهُمْ من نسل المباركين وذريته الصالحين رحمهم الله تعالى ، ورضى عنهم ونفعنا ببركاتهم فى الدارين .

وأما جدُّ الفقيه محمود محمد اقيت فهو من أهل ماسنة ، وسمعتُ العلامة الفقيه أحمد بابا رحمه الله أنه قال : ما رحله منها إلى بير إلا بُغض الفلانيين وهم متجاورون فى سُكناها . وقال عنه : إنه على يقين من عدم مناكحته معهم ، ولكن يخاف ذلك على أولاده لئلا يتناسلون معهم . انتهى كلامه .

ثم بعد ذلك خطر له حبُّ سُكنى تنبكت ، واكل هو سلطانه حينئذ ، فارتحل من بير ونزل بحلته بينه وبين راس الماء . ثم تحدث مع جد مسراند عمر وأخبره به ، فقال له : ما يمنعك منه ؟ قال : اكل فأتتْ بينى وبينه عداوة كبيرة . فقال له : إنا إنشاء الله تعالى أكون سبباً حتى تزول تلك العداوة ، وتسكن فى تنبكت كما تريد ، فجاء إلى اكل فى حلته ، ونزل عنده وبقى يتحدث معه ، إلى أنْ أخبره أن محمد اقيت ما يريد اليوم إلا أن يسكنَ فى تنبكت . قال له : لا يصيب ذلك . قال : ولم ؟

فدخل فى خيمته وأخرج درقة مشقوقة بالطعن بالرمح والضرب بالسيف ، فقال له : انظر إلى ما عمل محمد اقيت . وكيف يسكن المرءُ فى بلد مع عدوه الذى عمل له هذا العمل . وقال : هيهات الذى عرفته فيه قد فات صار اليوم مسكيناً ذا عيال لا يريد إلا العافية ، وما زال يلاطفه بالقول اللـيِّن الحسن حتى زالتْ عنه تلك العداوة وأذن له بالمجىء إلى تنبكت فرجع إليه ، وأخبره به فارتحل مع عياله إليه وسكن فيه .

ومن الشيوخ المُباركين أهل سنكرى ، الفقيه أحمد بن الفقيه إبراهيم بن أبى

بكر بن القاضى الحاج والد مام سر . روى أن شيخنا الزاهد الفقيه الأمين بن أحمد أخى الفقيه عبد الرحمن أنه قال : لا يحول بين الشيخ أحمد هذا وبين درس المصحف إلا إقراء العلم ، وهو يلازم هذا العمل الصالح فى جميع أوقاته ، رحمه الله تعالى ورضى عنه ، وأعاد علينا من بركاته .

ومنهم الفقيه صالح بن محمد اند عمر المعروف بصالح تكن الشيخ المعمرى ، المستحرم عنه السلاطين ، يشفع للمساكين عندهم ، ولا يرون شفاعته على كل حال. ألف شرحاً على مختصر [1] الشيخ خليل رحمه الله تعالى .

ومنهم السيد أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله بن أبى يعقوب . العالم ، الفقيه ، النحوى ، المُتفنن فى علوم الأدب ، والتفاسير ، والأشعار . وشهد له بالعلم جماعة الشيوخ ، رحمه الله آمين .

---

(١) مختصر الشيخ خليل : كتاب فى فروع المالكية ، تأليف : الشيخ خليل بن إسحاق الجندى المالكى ، المتوفى عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م ، وهذا الكتاب عدة شروح ، أشهرها شرح كمال الدين المعروف بابن الناشح . انظر : حاجى خليفة ، كشف الظنون ص ٥٦٨ .

obeikandl.com